

الحلقة الثامنة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكدت على سلطانه الإلهي.

هل تقلق مستمعي بالنسبة للمستقبل؟ فنقلق مثلاً كيف ستؤمن لك عملاً أو مهنة تكفي لمعيشتك؟ وتقلق عما يخبئه لك المستقبل من مفاجئات؟ وتقلق كيف ستجد الفتاة التي ستصبح شريكة حياتك؟ وفي المقابل تقلق الفتاة من الشاب الذي يتقدم إليها للزواج وإن كان مناسباً لها؟ هناك أمور كثيرة قد يقلق الإنسان من أجلها. لكن هل تعلم مستمعي أن القلق يؤدي إلى نتائج سلبية عليك؟ فالقلق يؤذيك جسدياً إلى حد أنه قد يحرمك من النوم والأكل. وأيضاً قد يؤذيك نفسياً، إذ يجعل موضوع قلقك يشغل أفكارك، ويعطل إنتاجك. ويؤثر سلبياً على أسلوب معاملتك للآخرين.

وهنا علينا أن نفرق بين القلق والاهتمام الطبيعي السليم. فالقلق يشل قدرات الإنسان ويعطلها، بينما الاهتمام السليم يدفعه للتخطيط الواقعي، والعمل في الاتجاه الصحيح. ولقد تحدت المخلص المسيح عن موضوع الاهتمام غير الطبيعي، والذي يصل إلى حد القلق الذي ينغص حياة الإنسان، فقال:

«لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنْ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ انظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبْوَكُمُ السَّمَاءِ يَفُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟» وفي ترجمة أخرى نقراً: «فمن منكم إذا حمل الهموم يقدر أن يطيل عمره ولو ساعة واحدة؟». (بشارة متى: ٦: ٢٥-٢٧).

أكد المخلص المسيح في هذه الآيات المقدسة على ضرورة تجنبنا الاهتمام الذي يصل إلى حد القلق. أو ما نطلق عليه بلغة اليوم بالهم. فعلى الإنسان أن لا يهتم أو يقلق كيف سيؤمن معيشته من طعام وشراب. وكيف سيؤمن ثيابه التي يفتنيها. وقدّم لنا المخلص المسيح حججاً قوية إذ تساءل: أليست الحياة نفسها أفضل من الطعام الذي نتناوله ونقلق من أجله؟ أو ليست أجسادنا أفضل من

اللباس الذي نرتديه؟ فلماذا نهتم ونقلق؟ وأضاف قائلاً: هل باهتمامنا نستطيع أن نزيد على قامتنا ذراعاً واحدة أو نُطيل من عمرنا ساعة واحدة؟ والجواب بالطبع كلا.

ثم قدّم لنا المخلص المسيح مثلاً من طيور السماء التي لا تحصد ولا تزرع، ومع هذا فإن الله الآب السماوي يقوتها. وتساءل: ألسنتم أنتم بالحري أفضل منها. ثم تحدّث عن زنابق الحقل كيف تنمو، وأن سليمان الحكيم في كل مجده لم يكن يلبس كواحدة منها. «أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُبْسِكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟» (بشارة متى ٦: ٢٨-٣٤). وعاد ليؤكد: «فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَّمُ. -أي الناس الذين لا يعرفون الله- لِأَنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا». وهنا يأتي بنا المخلص المسيح إلى نقطة هامة وهي: أهمية معرفة الله كأبينا السماوي والانتكال عليه.

ولهذا ختم حديثه قائلاً: «لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ. فَلَا تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لِأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ». أي أن هدفنا الرئيسي يجب أن يكون طلب ملكوت الله وبرّه، أي طلب معرفة الله الحقّة، وأن نسعى لعمل مرضاته، وعندها يؤمّن لنا ويزيد كل احتياجاتنا. ولهذا، أو كنتيجة لذلك علينا أن لا نهتم أو نقلق بما سيأتي به الغد. فما دمنا نتكل على الله الآب السماوي، فإننا نتق أن الغد سيكون مؤمناً لنا. إذ يكفينا بما يحصل معنا في هذا اليوم الشرير. فهل ما زلت مستمعي نقلق بما يحمله لك المستقبل؟ أم تراك تتق بالله وتتكلم عليه؟

صديقي المستمع، إن المخلص المسيح لا يدعوك لكي تتكاسل أو لا تخطط للمستقبل، لكنه يحذرك من الهم والقلق. فجيد أن يخطط الإنسان للغد، لكن عليه أن لا يقلق. لأن الوقت الذي يصرفه في القلق على الغد هو وقت ضائع. وكما ذكرنا في البداية فإن هناك نتائج سلبية كثيرة للقلق. إن التخطيط الدقيق للمستقبل يتطلب التفكير مقدّماً في الأهداف والخطوات، ووضع جدول زمني. والثقة أن الله هو الذي سيساعدنا على تحقيق الهدف عندما نتكلّ عليه ونطلب إرشاده. بينما يجعل القلق في المقابل المرء خائفاً من المستقبل وغير قادر على تحقيق أي هدف معيّن. فلا تجعل القلق مستمعي أن يسيطر عليك، وينغص عليك حياتك، ويشل حركتك. وفي المقابل عليك أن تعلم سر القضاء على القلق أو الحد من سطوته. وهو معرفة الله المعرفة الحقّة، والدخول في علاقة روحية معه، لكي يصبح أباك السماوي.

أجل، أن الله يغدو أبانا السماوي عندما نصبح نحن من أولاده. ولهذا يعتني بنا، ويساعدنا في دروب حياتنا. وعندما نعلم أن الله هو أبونا السماوي، يزول القلق من حياتنا، وتحل مكانه الثقة الكاملة بالله والانتكال عليه. فهل تود مستمعي أن يكون الله هو والدك السماوي الذي يعتني بك؟ إن المسألة في غاية البساطة، إذ عليك أن تأتي إلى الله الأب المحب بالإيمان، الذي أرسل المخلص المسيح لكي يموت على الصليب فداء لخطاياك. وعندها يغفر الله ذنوبك، ويجعلك من أولاده، ويصبح هو والدك السماوي الذي تتكل عليه في كل شؤون حياتك.

ولهذا كتب الرسول بولس إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: «لَا تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعَلِّمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ» (الرسالة إلى فيلبي ٤: ٦). أي يصبح لديك هذا الامتياز، امتياز عدم الاهتمام أو القلق. إذ تتوجه بكل طلباتك إلى الله أبيك السماوي. فهل تراك تؤمن بالمسيح المخلص؟